النشاط الاجتماعى لوزارة الشؤون الاجتماعية

إصلاح السجون — تعميم الرياضة البدنية — توجيه التمثيل والغناء

فى وزارة الشؤون الاجتماعية فى هذا العام نهضة عملية تتحدث عن نفسها بأفضل مما تتحدث الكلمات ، وقد تناولنا مظاهر النهضة فى عددين سابقين من هـذه المجلة ، فتحدثنا عنهما تحت عنوانات " قوانين العمال معناها تنظيم حياة ربع السكان " و " اللغة العربية ترفع رأسها وتسترد كرامتها " و " فريضة الزكاة " و " المراكز الاجتماعية " ، " والمكاتب الاجتماعية " و " صيانة الآداب " .

وفى هذا العدد نتحدث عن بعض مظاهر النشاط الأخرى التى عنونا بها هذا المقال :

(١)

أدلى معالى وزير الشؤون الاجتماعية الى جريدة الجورنال ديجبت بحديث فى هذا الشأن نقتطف منه الفقرات الآتية :

"من المسلم به طبقا لما أسفرت عنه بحوث العلماء أن العقوبة لايراد بها الانتقام من المجرم بل إصلاحه . ولذلك رأيت منذ تقلدى وزارة الشؤون الاجتماعية أن فى اصلاح السجون مجالا فسيحا للعمل .

"وبصفتى محاميا له خبرة طويلة بالقضايا الجنائية تبينت أن الجرائم فى مصر تزيد على مائيت لى فى بلدان أخرى ، ولكن عدد المجرمين الحقيقيين ضئيل .

"والواقع أن معظم جنايات القتل والجنايات الأخرى الخطيرة — وخصوصا فى المديريات ترجع غالبا الى مشاجرات بين عائلة وأخرى أو بين قرية وأخرى ، فترى الشبان الموصوفين بالجرأة يتبرون حرصا على كرامتهم للدفاع عن عائلتهم أو عن قريتهم فيحكم عليهم بالعقوبة ، لا لأنهم مجرمون ، بل لأن المصادفة السيئة ساقتهم الى الجريمة .

"واذا لم يشتركوا فى الشجار أو اذا تخلفوا عنه عرضوا أنفسهم للاحتقار ولتعيير نساء القرية وأولادها بالجبن " .

وفى هذه الفقرات يبدو أمران :

أولهما — النظرة الانسانية للمجرم وللعقوبة ، وهى النظرة التى كونتها الدراسات النفسية الحديثة ، والتى انتفع بها العالم المتمدن فى سجونه ولا سيما أمريكا ، تلك النظرة التى كانت

تنقصنا حتى اليوم على الرغم مما ارتفع من الأصوات مطالبا بتعديل نظام السجون المصرية وبخاصة أصوات المسجونين السياسيين المثقفين الذين قضوا فترة فى السجن كشفت لهم عما فى قوانينه ونظمه من عيوب .

وثانيهما — الفهم الصحيح لطبيعة الجريمة الغالبة فى مصر، ذلك الفهم الذى يهتم بالباعث النفسى على الجريمة أكثر مما يهتم بمظهرها أو بتكييفها القانونى والذى يعتمد على الملاحظة المحلية والتجربة الشخصية مثلما يعتمد على البحوث والنظريات العامة ".

فهذا الوزير الذى يريد اصلاح سجون بلده ، يفطن فطنة دقيقة لطبيعة الجريمة الغالبة فى هذا البلد ، وهى طبيعة خاصة يساعد فهمها كثيرا على تصنيف المجرمين وتوقى ما يحدث من اختلاط الطوائف المختلفة منهم وتشابه طرق معاملتهم من أضرار يعبر عنها معاليه حين يقول :

" غير أن الى جانب هؤلاء بلا شك مجرمين حقيقيين يرتكبون جريمتهم عن تعمد وسوء قصد ، ومن لأسف أن السجون تعامل هؤلاء وأولئك على نسق واحد .

" فنشأ من ذلك أن السجون باتت أداة شر لا أداة اصلاح ، ومجموع الأمة هو الذى صار ضحية هذا النظام ، وبدلا من أن يؤدى تنفيذ الأحكام الى الاصلاح أصبح سببا فى زيادة الجرائم " .

ولا يفوتنا أن نلحظ أمرا آخر فى البواعث النفسية للوزير على اصلاح السجون ، ذلك هو الشعور الانسانى الذى ينفر من الهبوط بالآدميين الى مرتبة الحيوان ، وقد ورد فى تصريحه هذا قوله :

" أمرت كذلك بابطال نظام من بقايا العصور الوسطى وهو تعليق المذنب فى ساقية لإدارتها كما لو كان حيوانا ، وأمرت فوق ذلك بأن يكون الخبز الذى يوزع على المسجونين خبزا لائقا بهم كآدميين ".

فهذا الشعور الإنسانى فى ذاته يساوى عندنا ماينتجه من الآثار والأعمال ، وهو وحده الضمان الوثيق لهذا النشاط الاجتماعى المشكور ، وموضع الأمل المنتظر فى الاصلاحات القادمة لهذا الوزير .

(٢)

ومن بين مشروعات الوزارة مشروع تعميم التربية البدنية. والذى يشاهد الكروش المتبعجة والسيقان المقوسة والأكتاف المحدودبة والوجوه الباهتة فى مصر — وفى أوساط الأغنياء

والمتوسطين الذين لاتبهت ألوانهم من الجوع — يدرك أن لهذا المشروع ما وراءه إذا صحت الأحلام !

وقد صح بعضها بالفعل فإن كثيرا من المصانع والمعامل قد استجاب للدعوة فأنشأ لعماله نوادي رياضية ، يجدون فيها التسلية والتدريب ، ويستعيضون بها عن المقاهي القذرة المرطوبة المحتبسة الهواء التي تؤمها هذه الطبقات ، كما يستعيضون بألعابها البريئة عن الألعاب المفسدة والمكيفات السامة التي يقطعون بها الفراغ ويتصدون بها إلى التسلية .

وشأن الرياضة البدنية في مصر عجيب ، فقد كان جدودنا القدامى يزاولونها ويعنون بها ، تشهد بهذا تماثيلهم ونقوشهم وتعاليمهم الباقية ، وتظهر هذه الروح في بعض الألعاب الباقية في الريف إلى الآن . ثم انقطعت الصلة بيننا وبين هؤلاء الجدود وعاداتهم الرياضية ، فاقتبسنا العناية بالرياضة البدنية من الأمم الحديثة كالسويد وانجلترا .

وبدلا من أن ننظر إلى هذه الألعاب على أنها وسيلة لإصلاح الأجسام وتنشيط الأبدان وتجميل القوام ، وبعث الصحة والنشاط والاحتمال ، وتعويد التضامن والتسامح والتفاؤل ... إلى آخر هذه المزايا التي يحفظها التلاميذ ويكتبونها في موضوعات الإنشاء ، بدلا من هذا رحنا نتخذها وسيلة لنيل الجوائز في الحفلات كالمحترفين الرياضيين !

ففي المدارس أنشيء مايسمى " الأقسام المخصوصة " وبدلا من أن نختار لهذه الأقسام أضعف التلاميذ أجساما وأكثرهم تشويهات وأحوجهم إلى مزايا الألعاب الرياضية المحفوظة في موضوعات الإنشاء ، رحنا نختار أصح التلاميذ أجساما وأكثرهم استقامة وأنشطهم حركة لتأليف هذه الأقسام حتى نضمن بذلك نجاحهم في الاستعراضات العامة ، وحصولهم على الكؤوس في الحفلات !

وفي مثل هذا الطريق سارت النوادي ، لايهمها من الرياضة بجميع ألوانها إلا تخريج " الأبطال " أما الذين لا يستطيعون " البطولة " فلا نصيب لهم فيها ، إذ لا نفع لها بهم في المباريات !

وهناك نواد كثيرة تحطل على المئات والألوف من الجنيهات كل عام لتتخذ منها وسائل ترف للعدد القليل من أبطالها ، ولحفلات رؤسائها وأعضائها ، ووراء هذه الحفلات فضائح نرجو تلافيها في العهد الجديد !

وميزانية هذا العام تحتوي أكثر من ثلاثين ألفا من الجنيهات للرياضة البدنية ، والوزارة تريد أن تنشر في حدود هذا المبلغ روح الرياضة الصحيحة لا روح الاحتراف والبطولة والمظاهر الجوفاء . وهو اتجاه محمود نرجو أن يؤتي ثمراته عن قريب .

(٣)

وأخيرا نعرض للمشروع الثالث : مشروع توجيه التمثيل والغناء ، وقد أحدثت الوزارة تعديلا فى كيان الفرقة القومية ، كما شرعت فى إيجاد كيان لفرقة أوبريت .

ولسنا نتردد هنا فى الجهر بكلمة صريحة نوجهها لمن سيتولون الإشراف على المنشأتين الجديدتين :

إن الفنون يصعب توجيهها للارشاد الاجتماعى المباشر ، وتوجيهها هكذا قد يفقدها قوتها وتأثيرها كما يفقدها قيمتها الفنية ، فلا بد إذن من الطلاقة الفنية التى ترتفع عن الأوضاع الاجتماعية المحدودة .

وهذه الطلاقة هى التى تضمن للفنون أن ترتفع بالاحساس الإنسانى وأن ترهف الشعور البشرى ، ومتى تحقق الإرهاف والارتفاع تحقق معهما الاتجاه العميق إلى الخير وإلى الإصلاح ؛ وصحبهما النفور من القبح فى كل صورة ، ومن هذه الصور الرذيلة والهبوط الاجتماعى وظلم الطبقات .

التهريج الاجتماعى إذن والعنوانات الصاخبة والضجيج الأجوف ليست هى المطلوبة فى الروايات أو الأغانى لتؤدى وظيفتها الاجتماعية . ولسنا نحرم عرض المآسى الاجتماعية أو المهازل اللاذعة فى هذا الاتجاه ، ولكن ينبغى دائما أن نضع نصب أعيننا أن التلميح فى الفنون خير من التصريح وأن الإشارة أفعل من العبارة .

ولنا فى الغناء كلمة خاصة نريد أن يسمعها من سيتولون هذا العمل فى إصغاء وانتباه : إن كيان هذا الشعب وشخصيته ورجولته وكل فضائله الإنسانية والقومية والاجتماعية تتحلل وتذوب الآن فى الأغانى المسترخية الذليلة ، وفى الألحان المتكسرة الرخية ، وفى الأصوات المتخنثة الطرية التى تغمر السوق فى الاسطوانات وفى محطة الإذاعة وفى الصالات والقاعات .

وقد شبع الشعب تميعا وتخدرا وتكسرا ، وقد استرخت عضلاته وتراخت أحاسيسه وتهالكت قواه وهو يردد : " يالوعتى ياشقايا ياضنا حالى . أو ميهونش أو مقدرش أنساك أو بلاش تبوسنى ... الخ " وحتى الأغانى الحماسية خرجت تميعا وتكسرا ودغدغة . فيجب أن يسمع هذا الشعب المنكوب بدل هذه المخدرات شيئا آخر فيما تهم به وزارة الشؤون الاجتماعية .

ونحن ننصح لأصحاب " النونوات " المدغومة ، والألحان المتخاذلة أن يذهبوا مرة واحدة لسماع مطرب مثل " نلسون إيدى " فى رواية " بلاليكا " أو أن يسمعوا " الفالس الكبير " لجوهان ستراوس ، أو بعض ألحان سيد درويش أو شيئا من هذا ، ليروا كيف

يرتفع الصوت مجلجلا طليقـا مليئا بالرجولة والقوة والتعبير مع الرخامة والإطراب والإيقاع . أو ليروا كيف تنطلق الألحان فتثير النشاط والمرح والتفاؤل فى النفوس ، من غير جعجعة بألفاظ حماسية رنانة ، كما يصنع بعض من يفهمون أن القوة والحماسة لا تنبعثان إلا من الأغانى الصاخبة الألفاظ .

نريد ألحانا وأصواتا تبعث فينا الحيـاة والنشاط وتفتح أعيننا على الجمـال ، فقد شبعنا دموعا وأنينا واسترخاء و" نونوة " وقضما للألفاظ وتميعـا فى إخراجها وميوعة فى أدائها ودغدغة فى التطريب بها ، كما يفعل الآن جميع المطربين وجميع المطربات إلا ما شذ وهو قليل.

هذه كلمة صريحة لا نتردد فى إطلاقها ، فنحن نعلم أن وزارة الشؤون الاجتماعية تنوى بالشعب خيرا ، فلعل المطربين والمطربات لا يقلبون هذا الخير شرا بحجة تلبية رغبة الجمهور فالجمهور المسكين يعيش فى خمار دائم وتخدير مستمر فدعوه مرة واحدة يفيق !

على أن هـذه الحجة الظاهرة — حجة رغبة الجماهير — مسألة فيهـا نظر وهى فى حاجة إلى إحصاء صحيح يتبين منه ذوق الجماهير على حقيقته .

وقـد دلتنا بعض التجارب فى الريف والصعيد أن الجمهور هناك لا يزال سليم الفطرة فهو يكره الأغانى الجديدة الأخيرة لما فيها من ليونة وميوعة، ولما فيها من احتباس الأصوات وقضم الحروف وسوء النطق ورخاوة التطريب . ويطالب بالأصوات المجلجلة والنغمات الطليقة ، ويحمدون لبعض المطربين أغانيهم الأولى التى كانت سبيلهم الى الشهرة ثم عادوا عنها الى هذا الغناء !

ومع ذلك كله فذوق الجمهور وطلب الجمهور يصلحان حجة للتجار لا للفنانين الذين يعيشون لفنهم ويحاولون الارتفاع بذوق الجماهير لا مسايرة الجماهير طمعا فى الكسب الرخيص .